@Tafsircenter
www.tafsir.net

منظومة الصباحي في ترتيب نزول سور القرآن الكريم

نظم القاضي العلامة بدر الدين حسن بن عبد الرحمن الصباحي (ت: ٨٩٨هـ)

دراسة وتحقيق

د. جمال نعمان ياسين

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies

المعلومات والآراء المقدَّمة هي للكتّاب، ولا تعبّر
بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير

ملخص البحث:

يقدّم هذا البحثُ دراسةً وتحقيقًا لمنظومة الصباحي في ترتيب نزول سور القرآن الكريم، التي نَظَمها العلّامة الفقيه بدر الدين حسن بن عبد الرحمن الصباحي (ت: ٨٩٨هـ)، وهي منظومة تعليمية موجَزة في عِلْم ترتيب النزول، مبنيّة على رواية جابر بن زيد، كما رواها أبو عمرو الداني وأوردها السيوطي في الإتقان في علوم القرآن.

ويهدف البحث إلى إخراج هذه المنظومة إلى دائرة التداول العلمي، من خلال تحقيق نصّها، وضبط ألفاظها، وتوثيق نِسبتها، وبيان مصادر المؤلِّف ومنهجه فيها.

وقد اعتمد البحثُ المنهجَيْن الوصفي التحليلي والاستقرائي، إلى جانب منهج التحقيق العلمي للنصوص.

وجاء البحث موزّعًا على تمهيد يتناول مفهوم ترتيب النزول، وثلاثة أقسام: الأول للتعريف بالنّاظم وسيرته العلمية، والثاني لدراسة المنظومة من حيث نسبتها، ومنهج النّاظم فيها، والنُّسَخ الخطّية المعتمَدة، والثالث لتقديم النصّ المحقّق مشفوعًا بالتعليقات العلمية.

وانتهت الدراسة بالنتائج والتوصيات، وكان من أهمها:

١. ثبوتُ نسبة المنظومة إلى الصباحي ثبوتًا قويًّا؛ استنادًا إلى تصريحات خطّية في النُّسَخ الثلاث، مما يؤكّد أصالتها ويعزّز قيمتها العلمية.

٢. اعتمادُ النّاظم رواية جابر بن زيد فقط دون غيرها، في سرد متسلسل لسور القرآن الكريم، مكيّها ومدنيّها، في بناء شِعْرِي دقيق على بحر الطويل، بواقع ٣٣ بيتًا تغطّي ١١٤ سورة.

٣. تَفَرُّدُ المنظومة بالجَمْع بين الاختصار والإحكام، والبُعد عن الحشو أو الجدل، مع ضبط لغوي وعروضي محكَم، يجعلها صالحة للتدريس والحفظ، ومادة تربوية يمكن إعادة توظيفها في الدراسات القرآنية.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، واصطفى له أعلم خَلْقِه فبلَّغه بلاغًا مبينًا، وأودع في تنزيله أسرارًا لا تنقضي، ومعاني لا تُستوفَى، ورتّبه على نحوٍ يكشف عن دقائق التشريع، وتدرّج الخطاب، وتاريخ الرسالة. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، أفصح مَن نطق بالضّاد، وأبلغ مَن فصّل الوحي، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومَنْ سار على دربهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فإنَّ ترتيب نزول سور القرآن الكريم عِلْمٌ جليل من علوم القرآن، يربط النصَّ القرآني بالسياق الزمني للتنزيل، ويُعين على إدراك خصائص الخطاب الإلهي في كلّ طور من أطوار الدعوة. وقد أَوْلَاه العلماء عنايةً فائقةً؛ لِمَا له من صِلَة مباشرة بأسباب النزول، ومراحل التشريع، وتطوّر الأحكام.

وإنّ المتأمّل في خطاب القرآن الكريم، لَيُدرك أنّ معرفة أين ومتى نزلت السورة؟ يُعَدّ مفتاحًا في فهم مقصدها، وسياق خطابها، وربطها بالبيئة التي استقبلت الوحي. ولهذا، لم يكن هذا العِلْم مجرّد توثيق تاريخي، بل كان عند السَّلَف جزءًا من علم التفسير، وأحد أركان فقه النصّ.

وقد تعدّدت الروايات التي تناولَت ترتيب نزول سور القرآن، ولكنّ أشهرها وأقربها إلى الضبط هي الرواية المنقولة عن جابر بن زيد -التابعي

الجليل- والتي رواها الإمام أبو عمرو الداني في البيان في عدّ آي القرآن، واعتمدها مِن بعده الإمامُ الجعبري في منظومته (تقريب المأمول)، ثم الإمام السيوطي في (الإتقان في علوم القرآن). ومع أنّ الرواية فيها نظر، كما أشار إليه النقاد، إلا أنّ غالب العلماء أقرّوها واعتمدوها مرجعًا تنظيميًّا وتعليميًّا.

وفي سياق هذا التوجّه العلمي، ظهرتْ منظومات تعليمية سَعَتْ إلى حفظ ترتيب النزول في قالب شِعْري، ومن بينها منظومة القاضي العلّامة بدر الدين حسن بن عبد الرحمن الصباحي (ت: ٨٩٨هـ)، وهي منظومة نادرة، لم تنل حظّها من التحقيق العلمي، رغم قيمتها العلمية والأدبية، وكونها من أوائل ما نُظِم في هذا الباب بعد منظومة الإمام الجعبري، وقد جاءت هذه المنظومة على وزن بحر الطويل، في ثلاثة وثلاثين بيتًا، واتبعت ترتيبًا دقيقًا لرواية جابر بن زيد، من أول سورة نزلت بمكة إلى آخر سورة نزلت بالمدينة.

ولـمّا لم تنل هذه المنظومة حظّها من التحقيق والنَّشْر؛ فقد عنيتُ بتحقيقها، وضبط نصّها، ودراسة نسبتها إلى مؤلِّفها، وبيان منهجه فيها، وفق منهج علمي يستوفي ضوابط التحقيق الأكاديمي، ويجعل هذا النصّ في متناول الباحثين والمتخصّصين في الدراسات القرآنية واللغوية.

ومن هنا، تنبع أهمية هذا البحث، وتتجلّى دواعيه، وتُستثار إشكالاته وأهدافه، وهو ما ستبيّنه الفقرات الآتية.

- **الأهمية العلمية للموضوع:**

تستمدّ هذه المنظومة أهميتها من أمورٍ ثلاثةٍ:

١. مضمون المنظومة نفسها؛ إِذْ تُمَثّل هذه القصيدة محاولة عِلْمية نادرة في النَّظْم التعليمي، تُعْنَى بحِفْظ ترتيب النزول، في ظلّ نُدرة المنظومات التعليمية المحكمة في هذا الفنّ، واعتماد المنظومة على رواية جابر بن زيد، كما رواها أبو عمرو الداني وأوردها السيوطي في الإتقان.

٢. مكانة الناظم العلمية والتاريخية؛ فالفقيه بدر الدين الصباحي كان أحد أعلام اليمن في القرن التاسع الهجري، جمع بين الفتوى والتدريس، والإقراء والوزارة، وهو مثال للعالم العامل، الشاعر المتقِن، ما يجعل الوقوف على إنتاجه العلمي إحياءً لتراثٍ نفيسٍ.

٣. قيمة النصّ من حيث اللغة والبلاغة، فهي منظومة تُجيد الانتقال بين الأسماء والكنايات، والرمز والتصريح، وتُقدّم ترتيبًا تعليميًّا محكمًا، يصلح للمدارس والجامعات، ويجمع بين الدقّة اللغوية، وجزالة اللفظ، وسهولة الاستظهار.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

جاء اختياري لهذا الموضوع استجابةً لعدة اعتبارات علمية ومنهجية، أبرزها:

١. أنَّ المنظومة لم تُحَقَّق من قبل -في حدود ما اطّلعتُ عليه- ولم تُدْرَس دراسة علمية منهجية، رغم مكانتها في سياق المنظومات القرآنية التعليمية، ما يُوجب على الباحثين أن يُعِيدوا اكتشاف هذا النوع من الأدب العلمي التعليمي.

٢. أهمية عِلْم ترتيب النزول في فهم القرآن الكريم؛ إِذْ يُعَدّ هذا العلم من المفاتيح الجوهرية لتفسير النصوص القرآنية، وفَهْم أسباب النزول، وسير الأحداث في سياقها التاريخي، وهو علم يُضيء خلفيات الأحكام ومناخ الخطاب، ويُسهم في التفسير الموضوعي والتاريخي.

٣. الحاجة التعليمية الملحّة لمثل هذه المتون المنظومة، ففي عصر اتّسعت فيه مناهج التعليم، وتراجعتْ فيه المحفوظات، تُعَدّ مثل هذه المنظومات وسيلة تعليمية فعّالة، تُبسِّط العلوم وتعزِّز مَلَكة الحفظ والاستظهار لدى طلاب العلم الشرعي، ما يُعيد الاعتبار للمنهج القديم في حفظ العلوم عبر النظم.

• مشكلة الدراسة:

تتمثّل مشكلة هذه الدراسة في وجود نصّ علمي تراثي نفيس، يتناول موضوعًا دقيقًا من موضوعات علوم القرآن، وهو ترتيب نزول السور القرآنية، لم يحظَ بالعناية العلمية، ولم يُحَقَّق أو يُدْرَس من قبلُ، على الرغم من أهميته العلمية.

وعليه، فإنّ الإشكالية الرئيسة التي تسعى الدراسة إلى معالجتها، تتمحور في الآتي:

- «كيف يمكن تحقيق ودراسة منظومة بدر الدين الصباحي في ترتيب نزول سور القرآن الكريم، وإبراز مكانتها العلمية، ومنهجها الترتيبي، وأثرها في خدمة عِلْم ترتيب النزول؟».

ويتفرّع عن هذه الإشكالية الرئيسة عددٌ من التساؤلات الفرعية، من أبرزها:

- ما المصادر التي اعتمدها الصباحي في منظومته في ترتيب نزول السور القرآنية؟
- ما منهجه في تأليف هذه المنظومة؟
- مَن القاضي العلّامة بدر الدين الصباحي مؤلِّف هذه المنظومة؟ وما مكانته العلمية؟
- كيف يمكن الحصول على نصّ المنظومة محقّقًا ومضبوطًا؟

• أهداف الدراسة:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جُملة من الأهداف العلمية والمعرفية والمنهجية، يمكن إجمالها فيما يأتي:

١. تحقيق النصّ المخطوط تحقيقًا علميًّا موثقًا، معتمِدًا على ثلاث نُسَخ خطّية، ومقابلًا نصوصه بمصادرها، وفق قواعد التحقيق المعتمدة.

٢. توثيق نسبة المنظومة إلى القاضي العلّامة بدر الدين الصباحي، من خلال دراسة النُّسَخ الخطّية، واستقراء كتب التراجم والفهارس العلمية.

٣. دراسة المنهجية العلمية التي اتّبعها المؤلِّف في تناول ترتيب نزول السور القرآنية، ومدى التزامه بالرواية المعتمدة (رواية جابر بن زيد)، ومدى نجاحه في اختزال ترتيب النزول ضمن بناء شِعْري واضح ودقيق.

٤. تسليط الضوء على شخصية العلّامة بدر الدين الصباحي؛ فقيهًا، عالمًا، شاعرًا، ووزيرًا، وبيان أثره العلمي والتربوي، وإسهامه في نشر المعرفة من خلال النَّظْم، والموقع الذي احتلّه في الوسط السياسي والديني للدولة الطاهرية.

٥. إبراز فاعلية النَّظْم كوسيلة تعليمية لحفظ علوم القرآن، وتحفيز الباحثين على إحياء المتون المنظومة في مختلف العلوم الشرعية، خاصّة تلك التي لها طبيعة سردية، مثل: المكي والمدني، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وغيرها.

٦. دعم حركة إحياء التراث اليمني المخطوط، وتقديم نموذج تطبيقي لتحقيق نصّ تراثي تعليمي، لم ينل حَظّه من النشر والدراسة.

- **منهج البحث:**

في هذه الدراسة تم اعتماد المناهج الآتية:

١. المنهج الاستقرائي: في تتبّع سيرة المؤلِّف، وبيان مكانته العلمية.

٢. المنهج الوصفي التحليلي: في التعريف بالمنظومة، وبيان مصادرها، ودراسة منهجية المؤلِّف فيها.

٣. منهج التحقيق العلمي: في إخراج نصّ المنظومة من النُّسَخ الخطّية، واتّباع قواعد التحقيق العلمي، من حيث إثبات النصّ، وضبطه، وتوثيق ما يحتاج إلى توثيق، والتعليق على ما يلزم.

- **الدراسات السابقة:**

بعد بحث وتتبّع واسع في المكتبات الورقية والرقمية، وفهارس المخطوطات، والمكتبات الإلكترونية، والمجلات المحكّمة المتخصّصة في علوم القرآن، والتحقيق التراثي، لم أقف -حسب الاستقراء المتاح- على أيّ دراسة علمية مستقلّة تناولَت منظومة الصباحي في ترتيب نزول سور القرآن الكريم بالدراسة أو التحقيق.

ولم تُدرج هذه المنظومة في أيٍّ من المعاجم المتخصّصة في المتون المنظومة أو الفهارس العلمية الخاصّة بعلوم القرآن المنظومة، بل وردَ ذِكْرها

عَرَضًا في بعض المواضع ضِمن مجموعات مخطوطة، دون عنوان مستقلّ أو نسبة واضحة سوى ما أثبته النُّسّاخ في هوامش النُّسَخ الخطّية.

ومن هنا، تُعَدّ هذه الدراسة -في حدود ما أمكن التحقّق منه- الأُولى من نوعها التي تُعنى بجمع ودراسة وتحقيق منظومة بدر الدين الصباحي في ترتيب نزول السور القرآنية، وتقديمها للباحثين في قالب علمي موثّق متكامل.

- **مخطط البحث:**

ينتظم البحث في مقدّمة، وتمهيد، وثلاثة أقسام.

أمّا **المقدمة** فلبيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، وأهدافه، ومنهجه، ومخطّطه.

يتبعها **تمهيد** في مفهوم ترتيب نزول السور.

وأمّا الأقسام الثلاثة فهي كالآتي:

القسم الأول: التعريف بالناظم وسِيرته العلمية.

القسم الثاني: دراسة المنظومة.

القسم الثالث: النصّ المحقق.

ثم خاتمة للبحث فيها أهمّ النتائج والتوصيات.

التمهيد:

مفهوم ترتيب نزول السور:

يحظى عِلْم ترتيب نزول السور القرآنية بمكانة سامية ضمن علوم القرآن الكريم؛ لِمَا له من أثر بالغ في استجلاء السياق التاريخي والتشريعي للوحي، وفَهْم مراحل بناء الأمّة الإسلامية، وتدرّج التشريع، وتوجيه الخطاب القرآني وفقًا لمقتضيات الزمان والمقام. وقد عدَّه ابن حبيب النيسابوري من «أشرف علوم القرآن»، مشيرًا إلى أنّ هذا العلم يشمل: «علم نزوله وجِهَاته، وترتيب ما نزل بمكة ابتداءً، ووسطًا، وانتهاءً، وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك، ثم ما نزل بمكة وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، ثم الآيات المدنيات في السور المكية، والآيات المكيات في السور المدنية...»[(١)]. مما يدلّ على تشعّب هذا العلم وتداخله مع سائر أنماط النزول والبيئة التشريعية للوحي.

وقد أَوْلَى علماء الإسلام هذا العلم مكانةً بارزة، وقدّم بعضهم الحديث فيه على غيره من علوم القرآن، كما فعل الإمامان البلقيني والسيوطي، بل انتقد الأخير تأخير الإمام الزركشي له إلى النوع التاسع في البرهان في علوم القرآن؛ وعدَّه أَوْلَى بالتقديم نظرًا لصِلَته الوثيقة بأصول فهم المقاصد القرآنية وتحديد مراتب الأحكام وتاريخ التشريع[(٢)].

---

(١) التنبيه على فضل علوم القرآن، النيسابوري، ص٣٠٧، بتصرف.

(٢) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١/ ٢٧).

إنّ هذا العلم لم يُدَوَّن ابتداءً في الكتب، بل كان محفوظًا في صدور الصحابة رضي الله عنهم؛ بحكم معايشتهم للوحي، وملازمتهم للنبي ﷺ، وإحاطتهم بالأحداث والظروف التي نزلَت فيها السور والآيات. ولذلك، لا يشكّ عاقل في أنّ الصحابة قد حفظوا ما نزل من القرآن في مكة ثم في المدينة، وأدركوا أسباب النزول ومناسباته، والتدرّج الذي سار عليه الوحي الإلهي[(١)].

ثم تولّى التابعون حَمْل هذا العلم، وسعوا إلى استقصاء المرويات الواردة فيه، بل ظهرت في عصرهم بواكير التأليف في المكي والمدني، وفي ترتيب السور نزولًا[(٢)]. وشاعت المصنّفات التعليمية المختصرة، وبعضها نُظِم شعرًا تسهيلًا للحفظ.

والمراد بـ(ترتيب نزول السور) هو: معرفة ما تقدَّم نزوله من سور القرآن الكريم، وما تأخَّر منها، وذلك على ترتيب زمني نزولي لا على ترتيب المصحف المعروف، وهو عِلْمٌ يساعد على تتبّع المراحل التاريخية والتربوية للدعوة الإسلامية، ويُسهم في تحليل خطاب الوحي من حيث التدرج في التكليف، والتغيّر في النبرة الخطابية، واتساع دلالة الأحكام.

(١) الانتصار للقرآن، الباقلاني (١/ ٢٤٧) بتصرف.

(٢) ينظر: المكي والمدني، عبد الرزاق حسين، ص٥٩- ٦٢.

وغالب السور القرآنية لم تنزل دفعةً واحدةً، بل كانت آياتها تتنزّل منجّمةً حسب الوقائع، باستثناء بعض السور القصيرة التي نزلت جُملة، أو كَسُورة الأنعام التي نزلت كاملة -كما في بعض الروايات- في ليلة واحدة. ويُعَدُّ أوّل ما نزل من السور وفق أكثر الروايات سورة العَلَق -الخمس الآيات الأُولى منها تحديدًا- تليها القلم، ثم المزمّل، فالمدثر، وهي المرحلة المكية الأُولى، في حين نزلت السور المدنية في سياقات تشريعية وتنظيمية مغايرة، كما في البقرة التي نزل أوّلها عند دخول النبي ﷺ المدينة، وآخر آياتها -كما في المشهور- قبل وفاته بأشهُر معدودة.

ومع أهمية هذا العلم، إلا أنّ الملاحَظ أنّ السنّة النبوية لم تنقل إلينا حديثًا مرفوعًا صحيحًا يحدّد ترتيب نزول السور، كما لا يُعْرَف عن الصحابة أنفسِهم قولٌ موقوف صحيح يوضح ذلك ترتيبًا كاملًا. وأغلب ما وردَ في هذا الباب منقولٌ عن التابعين، وأشهَر تلك الروايات هي ما نُسب إلى جابر بن زيد الأزدي (ت: ٩٣هـ)[(١)]، وقد نقلها الإمام السيوطي في الإتقان، ثم عقّب عليها بقوله:

(١) وهو: أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي، البصري، الخوفي، كان عالم أهل البصرة في زمانه، يعدّ مع الحسن، وابن سيرين، وهو من كبار تلامذة ابن عباس، حدّث عنه: عمرو بن دينار، وأيوب السختياني، وقتادة، وآخرون، روى عطاء، عن ابن عباس، قال: «لو أنّ أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد، لأوسعهم علمًا عَمَّا في كتاب الله»، وكانت وفاته سنة ٩٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي (٤/ ٤٨١).

«هذا سياق غريب، وفي هذا الترتيب نظر، وجابر بن زيد من علماء التابعين بالقرآن»[(١)].

ومِن التابعين الذين نُقل عنهم في هذا الباب أيضًا: عكرمة، وعطاء، والزهري، وكلّهم أوردوا جداول تقريبية لترتيب النزول، تختلف في بعض السور، لكنها تتفق في الجُملة على الترتيب الكلّي لمراحل الوحي.

ولا يخفَى أنّ ترتيب النزول لم يُجْمِع عليه العلماء، ولكنّ الخلاف فيه محصور، كما أشار إلى ذلك الطاهر بن عاشور في مقدّمة تفسيره التحرير والتنوير، حيث قال: «إنّ الاختلاف في تعيين المكي والمدني، وفي ترتيب النزول، خلافٌ ليس بالكثير، وقد وردَت في ذلك ثلاث روايات:

الأولى: رواية مجاهد عن ابن عباس.

الثانية: رواية عطاء الخراساني عن ابن عباس.

الثالثة: رواية جابر بن زيد. وهي التي اعتمدها الجعبري في منظومته، وذكرها السيوطي في الإتقان، وهي التي جرينا عليها في تفسيرنا هذا»[(٢)].

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١/ ٩٦- ٩٧).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (١/ ٩٠).

وهذا التنوّع في الروايات لا يُعَدّ طعنًا في العِلْم ذاته، بل هو دليل على مرونة النقل في غياب النصّ القطعي، وتأكيد على الطابع الاجتهادي الاستقرائي لهذا الفنّ، مما جعله مجالًا لتداول الرواية، ونَظْمها، وتصنيفها، وفق أدوات علمية متاحة في كل عصر.

ختامًا.. يتبيَّن مما تقدّم أنّ ترتيب نزول السور عِلْمٌ جليل، ذو وظيفة تفسيرية وتاريخية وتربوية، يقتضي الجمع بين الدراية والرواية، ويجمع في مضمونه بين نقل الأثر، وتحليل المسار، واستقراء التحوّل القرآني من طور الدعوة السرية إلى الدولة، ومن البيان العقدي إلى التفصيل التشريعي.

ولأجلِ ذلك، كانت هذه المنظومة التي بين أيدينا مثالًا فريدًا على سعي العلماء لضبط هذا الترتيب في صورة شِعْرية تعليمية، اعتمدت الرواية وأتقنت الصياغة، ووفّرت على الباحثين جهدًا كبيرًا في الإحاطة بهذا الباب، من خلال نَظْمٍ مختصر، متين البناء، بليغ العبارة.

القسم الأول: التعريف بالناظم وسيرته العلمية:

✦ أولًا: اسمه، ونسبه، ولقبه:

هو العلّامة الفقيه بدر الدين الحسن بن عبد الرحمن الصَّبَاحي، الإِبِّي، التَّعِزِّي، اليماني، الشافعي[(١)].

وقد اشتهر في المصادر التي ترجمَت له باسم «بدر الدين الصباحي»، وهي نسبة إلى الصَّبَاح بن عبد الله بن الوليد بن عبد الله الأفقع، ويتسلسل هذا النسب إلى ربيعة بن عليّان بن أرحب، وينتهي إلى قبيلة بكيل من همدان، المتفرّعة عن كهلان بن سبأ، وهي واحدة من أعرق قبائل اليمن وأشهرها نسبًا وشرفًا[(٢)].

وتحمل ألقابه دلالات جغرافية وعلمية:

فـ«الصباحي» نِسبة نسَبية صريحة.

و«الإبِّي» نِسبة إلى مدينة إب، حيث تلقَّى علومه الأولى.

و«التَّعِزِّي» دلالة على مقر إقامته وفتواه (مدينة تعز).

و«اليماني» إثبات لانتمائه إلى القُطر اليمني.

أمّا «الشافعي» فمذهبه الفقهي الذي لازمه.

---

(١) ينظر: طبقات صلحاء اليمن، البريهي، ص٢٤٩؛ الضوء اللامع، السخاوي (٣/ ١٠٣).

(٢) ينظر: الإكليل، الهمداني (١٠/ ١٧١).

ويُجمِع أصحاب التراجم على أنه كان عَلَمًا بارزًا في عصره، يجمع بين النّسَب الرفيع، والتحصيل الدقيق، والخبرة العلمية الراسخة.

✦ ثانيًا: نشأته، وحياته العلمية:

نشأ بدر الدين الصباحي في بيئة علمية رفيعة، وسط أُسرةٍ ذات مكانة سياسية مرموقة؛ إِذْ كان والده من وزراء الدولة الرسولية، وهو ما أتاح له الاحتكاك المبكّر بمراكز القرار والفقه والعلم في اليمن(١).

وقد عاش في مدينة تعز، ونشأ فيها طالبًا للعلم، فابتدأ دراسته في مدينة إب، ثم انتقل إلى زبيد، وتتلمذ على نخبة من كبار علماء اليمن في عصره، فأخذ عنهم جملة من العلوم النقلية والعقلية، وتمكّن في فنون متعدّدة(٢).

ومن أبرز العلوم التي تلقّاها:

الفقه، وعلم الفرائض، والحساب، والجبر، والمقابلة، والمنطق، وبعض علوم الآلة.

وقد أخذ هذه العلوم عن أعلام عصرهم، كان فيهم الأصولي، والمحدِّث، والفقيه، والحاسب، واللُّغوي، حتى أصبح مرجعًا معتمدًا في هذه الفنون، وبرز فيها تدريسًا وفتوى وتأليفًا(٣).

---

(١) ينظر: طبقات صلحاء اليمن، البريهي، ص٢٤٩؛ الضوء اللامع، السخاوي (٣/ ١٠٣).

(٢) ينظر: طبقات صلحاء اليمن، البريهي، ص٢٤٩؛ الضوء اللامع، السخاوي (٣/ ١٠٣).

(٣) ينظر: طبقات صلحاء اليمن، البريهي، ص٢٤٩؛ الضوء اللامع، السخاوي (٣/ ١٠٣).

✦ ثالثًا: وظائفه، وأعماله:

برز بدر الدين الصباحي في مدينة تعز، حيث تصدّر للفتوى فيها، واعتمدت الدولة الطاهرية عليه في الفقه والتعليم؛ فقد تولّى التدريس في جامع الملك المظفر في أوائل حكم الدولة الطاهرية، كما كان من مشايخ الملك عبد الوهاب ابن طاهر الطاهري، ما يعكس مكانته العلمية والسياسية معًا[١].

ثم بعد قيام دولة الملك صلاح الدين عامر بن عبد الوهاب الطاهري، نُصّب الفقيه بدر الدين الصباحي وزيرًا للدولة، وهو المنصب الذي احتفظ به إلى وفاته، مما يدلّ على ثقة السلاطين بعِلْمه وحِكْمته، وجَمْعه بين القضاء والإدارة[٢].

وكان له في الوزارة دور فقهي وتنفيذي، فكان مرجعًا في الأحكام، وواسطة بين العلماء والسلطة، ولم يخلُ منصبه من أداء الرسالة العلمية، بل ظلّ مشتغلًا بالتدريس والإقراء والتأليف حتى وفاته[٣].

(١) ينظر: طبقات صلحاء اليمن، البريهي، ص٢٥٠؛ الضوء اللامع، السخاوي (٣/ ١٠٣).

(٢) ينظر: طبقات صلحاء اليمن، البريهي، ص٢٥٠.

(٣) ينظر: طبقات صلحاء اليمن، البريهي، ص٢٥٠.

✦ رابعًا: مكانته العلمية:

حظي القاضي العلّامة بدر الدين الصباحي بتقدير واسع لدى علماء عصره ومن بعدهم، فقد ترجمه الإمام السخاوي، وقال فيه: «تميّز في الفقه، والفرائض، والحساب، والجبر، والمقابلة، بحيث كان مدار الفتيا بتعز عليه»[(١)].

كما أثنى عليه العلّامة ابن الديبع، فقال: «العلّامة، مفتي مدينة تعز... وكان إمامًا في علم الحساب، والجبر، والمقابلة، والفرائض، وله مشاركة جيّدة في علم النحو والفقه»[(٢)].

وهذا يدلّ على سعة علمه وتنوّع اختصاصاته، فقد جمع بين العلوم النظرية والتطبيقية، وكانت الفتوى بتعز معتمدة عليه، كما كانت المدارس الفقهية تتوجّه إليه، وكان مرجعًا في حلّ المسائل المستغلقة في الحساب والفرائض، وهي علوم كانت تُعَدّ في زمانه من أمّهات العلوم النافعة في القضاء والوقف والإرث.

---

(١) الضوء اللامع، السخاوي (٣/ ١٠٣).

(٢) الفضل المزيد، ابن الديبع، ص١٨٨ - ١٨٩.

✦ خامسًا: شيوخه، وتلاميذه:

تلقّى العلّامة بدر الدين الصباحي علومه على يد نخبة من كبار علماء اليمن في القرن التاسع الهجري، الذين جمعوا بين الرواية والدراية، وكان لكلّ منهم أثرٌ في تكوينه العلمي والفكري، وكان من أبرز شيوخه:

١. العلّامة جمال الدين محمد بن أبي القاسم الضَّرَاسي (ت: ٨٦٦هـ).

وهو من كبار علماء مدينة جبلة، عالمٌ متفنّن، ومرجع في علوم الفقه، الحديث، اللغة، الفرائض، الحساب، الجبر، والأقدار المتناسبة، وكان محققًا مدققًا في علوم كثيرة، كما تميّز ببراعة نادرة في عِلْم الطب، أخذ عن عدد من الأئمة، منهم: رضيّ الدين بن الخياط، وجمال الدين محمد بن عبد الله بن سالم، والأمير صارم الدين داود بن قائماز، والأمير بدر الدين الغسّاني[(١)]. وقد لازم الصباحي هذا الشيخ مدّة طويلة، وتأثر به علمًا وسلوكًا، ورثاه بقصيدة طويلة مؤثرة -سبق نقلها- تدلّ على شدة الارتباط العلمي والعاطفي به.

٢. القاضي جمال الدين محمد الطيب بن أحمد الناشري (ت: ٨٧٤هـ).

وهو فقيهٌ شافعي، محقّق مدقّق، تلقّى العلم عن أبيه وأعمامه وكبار علماء عصره؛ مثل البدر الدماميني، وابن الجزري، والمجد اللغوي، ودرّس بالأشرفية

(١) تاريخ البريهي الكبير (١/ ٣٢٥).

والفرحانية في تعز، وكان مرجعًا في الإفتاء، وذا حرمة عند السلطان، ومن مؤلَّفاته: إيضاح الفتاوى في النكت المتعلقة بالحاوي، وكان من العلماء الذين أثّروا في الناظم فقهيًّا وعمليًّا[(١)].

٣. العلّامة تقي الدين عمر بن المنقش، مفتي مدينة زبيد.

وهو من أعلام الفتيا في زمانه، قرأ على عدد من الأئمة، وتخرّج على يديه عدد كبير من علماء زبيد وما جاورها، وكان مرجعًا في الفقه، وتربّى عنده الصباحي في زبيد، واكتسب عنه دقة الفتيا وقوّة الموقف العلمي[(٢)].

٤. المقرئ العلّامة يوسف بن يونس الجبائي الجابري الإبّي (ت: ٩٠٤هـ).

وهو إمام في القراءات، أخذ القراءات السبع على المقرئ عفيف الدين الناشري، وجمع بين علوم القراءات والفقه والنحو، وانتقل إلى تدريس القرآن والعلوم في قرية (عَيْقَرة) من مدينة إب، وكان من العلماء المؤثرين في طلبة زمانه، ويبدو أنّ الصباحي أخذ عنه بعض القراءات، أو استفاد منه في علوم اللغة والتجويد[(٣)].

---

(١) ينظر: الضوء اللامع، السخاوي (٦/ ٢٩٨- ٢٩٩).

(٢) طبقات صلحاء اليمن، البريهي، ص٣٠٩.

(٣) ينظر: طبقات صلحاء اليمن، البريهي، ص٢٤٦- ٢٤٧؛ الضوء اللامع، السخاوي (١٠/ ٣٣٨).

أمّا تلاميذه:

فقد تتلمذ عليه عدد من كبار الفقهاء والقضاة، من أبرزهم:

- **القاضي العلّامة موفق الدين عليّ بن أحمد بن عليّ بن أبي بكر الناشري (ت: ٨٨٦هـ).**

وهو فقيه أديب، تولّى القضاء، وأخذ الفقه عن أبناء عمومته، وتلقّى عِلْم الفرائض عن البدر الصباحي، والنحو عن عبد الرحمن الشويهر. وكان من تلاميذه النجباء، ممن تتلمذوا عليه واستفادوا من علومه وأخلاقه[(١)].

✦ سادسًا: شِعْره، وأدبه:

لم يكن العلّامة الفقيه بدر الدين الصباحي عالمًا فحسب، بل كان أيضًا أديبًا ناظمًا، له قريحة شِعْرية رائقة. وقد أثنى على شاعريته عددٌ من المترجمين له:

قال البريهي: «وله قريحة ينظم بها الشِّعْر»[(٢)].

وقال السخاوي: «وله نظم رائق، كلّ ذلك فيما بلغني رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[(٣)].

---

(١) ينظر: الضوء اللامع، السخاوي (٥/ ١٧١- ١٧٢).

(٢) طبقات صلحاء اليمن، البريهي، ص٢٤٩.

(٣) الضوء اللامع، السخاوي (٣/ ١٠٣).

وقال ابن الديبع: «وكان شاعرًا مفلقًا»[١].

وقد رُويت له قصائد مراثٍ ومواعظ، ومن أبرز ما وُجد له في الشِّعْر قصيدته المؤثرة في رثاء شيخه العلّامة الفقيه جمال الدين محمد بن أبي القاسم الضراسي، وهي قصيدة بليغة، جزلة، تحفل بالأَسَى الصادق، وتُظهر سعة اللغة وسلاسة التركيب ورهافة الشعور، قال فيها[٢]:

خَلَتِ المنازِلُ بل عَفَتْ أطلالُها ... وبَدَتْ مَساوِيها وغابَ جَمَالُها
واسوَدَّت الدنيا وأَظلمَ نُورُها ... وتَغَيَّرت يومَ النَّوَى أحوالُها
ووَهَت قواعدُ للعلومِ وزُلْزِلَتْ ... حَتَّى لَقَد هَدَّ العُلَا زِلزالُها
فَقْدًا لمن قد نَال مِنْ ربِّ العُلا ... رُتَبًا يَعِزُّ على الكِرام نوالُها
وسَمَا وسَادَ وشَادَ أركانَ الهُدى ... فَعَلَتْ مَبَانِيها وزَانَ كمالُها
وكَسَا الشريعةَ ثوبَ عِزٍّ عِلمُهُ ... حَتَّى استَبَانَ حَلالُها وحَرامُها
عَلَمُ التُّقَى وجمالُ دين الله مَنْ ... حَسُنَت خلائِقُهُ وشَاعَ خِلالُها
حَسَنُ السَّجَايا والشَّمائِلِ مَنْ لَهُ ... شِيَمٌ وأخلاقٌ تَزِينُ خِصالها
حَبرٌ بِه افتخَرَت عيونُ زمانِهِ ... حَتَّى لقد ضُرِبت به أمثالُها
أَعْنِي (الضَّرَاسِي) المبرِّزَ مَنْ لَهُ ... في كلِّ عِلمٍ بَسْطَةٌ قد نالَها
بحرُ العلومِ مُزيلُ مُشْكِلِ ما عَرَا ... في كلِّ فَنٍّ إن قوى إِشْكَالُها

(١) الفضل المزيد، ابن الديبع، ص١٨٨.
(٢) تاريخ البريهي الكبير (١/ ٣٢٩)

مـــا فُتِّحَـــت أبوابهـــا إلا لَـــهُ ... قَـد أَجْمَعَـت في ذَاكَ عنـه رِجَالُهـا
فيهِ مَحاسِنُ ليس يُحصَـى بعضُـها ... وفضـــائلٌ شَـــهِدَت لـــه أفعالُهـــا
مَـــنْ ذَا يؤمِّـــلُ لِلإِفَـــادةِ بعـــدهُ ... إنَّ الإِفَـــادَةَ قـــد غَفَـــتْ أطلالُهـــا
أَسَـــفًا لِفقْـــدِكَ يـــا إمـــامُ فإنَّهـــا ... لـــو نوزِلَـــتْ لا يُسْـــتَطاعُ نِزالُهـــا
خَلَّفْتَنَـــا ومضـــيتَ مُـــرتحلًا إلـــى ... جنَّـــاتِ عـــدنٍ لا يـــزول ظِلالُهـــا
وأجبـــتَ داعـــي مَـــنْ دعـــاك مُلَبِّيًـــا ... شـــوقًا لحضـــرتهِ فطـــابَ وِصَـــالُها
ولقد بَكَتْكَ صحائفُ العلمِ الـذي ... أَحْيَيْتَـــهُ وجوابُهـــا وسُـــؤالُها
ومجالسُ التدريسِ بعدكَ عُطِّلَتْ ... وتغلَّقَـــتْ طـــولَ الزمـــان قِفَالُهـــا
فسقاكَ ربُّ العرشِ مِنْ سُحُبِ الرضا ... سُـــحُب يـــزورُكَ عَـــذْبُها وزُلالُهـــا

ويُستفاد من هذه القصيدة أنّ الصباحي كان قادرًا على نَظْم الشِّعْر الموزون المرسل، واستخدام الصور البلاغية العالية، مع المحافظة على صِدْق العاطفة وقوة التأثير.

✦ سابعًا: وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

انتقل العلّامة بدر الدين حسن بن عبد الرحمن الصباحي إلى جوارِ ربّه في ضحى يوم السبت، التاسع عشر من شهر شوال، سنة ٨٩٨هـ، بمدينة تعز، وقد بلغ الكهولة، وكان لا يزال في موقعه العلمي والوزاري[(١)].

(١) ينظر: طبقات صلحاء اليمن، البريهي، ص٢٥٠؛ الضوء اللامع، السخاوي (٣/ ١٠٣)؛ الفضل المزيد، ابن الديبع، ص١٨٨ - ١٨٩.

وتدلّ الروايات على أنّ وفاته كانت فاجعة علمية كبرى، حيث أُقفلت بوفاته صفحة من صفحات العلم والفتيا والتدريس في اليمن، وخلّف وراءه أثرًا علميًّا بقي حيًّا في تلاميذه، منه منظومته التي بين أيدينا.

القسم الثاني: دراسة المنظومة:

✦ أولًا: تحقيق اسم المنظومة، وتوثيق نسبتها إلى النّاظم:

تُعَدُّ تسمية المؤلّفات، ولا سيّما المنظومات العلمية، عنصرًا جوهريًّا في توثيقها وفهرستها، كما تُعَدّ مفتاحًا أوّليًّا في دراسات التوثيق والتحقيق؛ إِذْ إنّ الاسم يُعبِّر في كثير من الأحيان عن مضمون العمل واتجاهه، ويُعِين في ربط المتن بصاحبه ربطًا علميًّا موثقًا. وفيما يتعلّق بالمنظومة موضوع هذا البحث، فإنّ أول ما يُلاحظ عند النظر في النُّسَخ الخطّية الثلاث المعتمدة أنّ النّاظم لم يضع لها عنوانًا صريحًا في نصّها أو على رأسها، وهي سِمَة يشترك فيها عدد من المتون التراثية، ولا سيّما في مراحلها الأولية من التدوين، قبل أن تُذيّل بتسميات لاحقة من قِبَل النُّسّاخ أو القرّاء أو أصحاب الفهارس.

وقد وردَت تسمية هذه المنظومة في جميع النُّسَخ الخطّية الثلاث بصيغة تُشير إلى مضمونها دون أن تتضمّن عنوانًا مبتكرًا أو اسمًا خاصًّا من إنشاء الناظم.

ففي نسخة الأصل خُطَّ على الصفحة الأولى: «هذه المنظومة في ترتيب نزول السور، وهي للفقيه بدر الدين حسن بن عبد الرحمن الصباحي رحمه الله تعالى»[(١)].

(١) ينظر: نماذج صفحات المخطوط في آخر قسم الدراسة.

وفي نسخة (ب) كُتب: «منظومة في ترتيب نزول سور القرآن للفقيه بدر الدين حسن بن عبد الرحمن الصباحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ»[١].

أمّا في نسخة (ج) فقد ورَد: «هذه المنظومة في ترتيب نزول السور، وهي للفقيه بدر الدين حسن بن عبد الرحمن الصباحي رحمه الله تعالى»[٢].

ويظهر من ذلك أنّ هذه العبارات تكاد تتطابق لفظًا ومعنى، بما يُشير إلى ثبات مضمونها وتطابق نسبتها في المصادر الثلاثة.

وبالنظر إلى هذه الشواهد الخطّية، وتأييدًا لمنهج التحقيق العلمي القائم على مراعاة السياق التاريخي والاصطلاحي في التسميات، فقد آثرت الدراسة الحالية أن تُطلق على هذه المنظومة اسمًا يُظْهِر خصائصها من جهة، وينسبها إلى ناظمها من جهة أخرى، كما هو مألوف في تسميات المنظومات التراثية التي يُنسَب كثير منها إلى مؤلِّفيها، إمّا تغليبًا أو اصطلاحًا، وبناءً على ما سبق، فقد تم اعتماد اسم: «**منظومة الصباحي في ترتيب نزول سور القرآن الكريم**».

وهو اسم يُبرز البُعد الموضوعي (ترتيب نزول سور القرآن الكريم)، ويُقرِن المتن بصاحبه (بدر الدين حسن بن عبد الرحمن الصباحي).

---

(١) ينظر: نماذج صفحات المخطوط في آخر قسم الدراسة.

(٢) ينظر: نماذج صفحات المخطوط في آخر قسم الدراسة.

أمّا عن توثيق نسبة المنظومة إلى الناظم، فإنّ الأدلة الخطّية الواردة تُعَدّ في غاية القوة من حيث وضوح العبارة وصراحتها، حيث تُثبت النسبة للنّاظم بلا شك أو تردّد، دون أن ترِد بصيغة محتملة أو منسوبة.

وإنّ وجود اسم الناظم كاملًا مصحوبًا بالصفة العلمية (الفقيه) وعبارة الترحُّم (رَحِمَهُ ٱللَّهُ) في مقدّمات النُّسَخ الثلاث يُعَدّ دليلًا مباشرًا يُعتدّ به في منهج التحقيق، ويُعزّز من صحةِ النسبة، كما أنّ الاتفاق شبه التام بين النُّسَخ المختلفة يرفع درجة الوثوق إلى مرتبة عالية في نقد النصوص التراثية، ويقلّل من احتمالية التزوير أو الخطأ في الإسناد.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ هذه المنظومة لم تُنْسَب -بحسب ما توافر من المصادر والمراجع المطبوعة والمخطوطة- إلى غير الصباحي، ولم تظهر ضمن أعمال أيِّ ناظمٍ آخر، مما يقوّي حُجّة النسبة ويُخرجها من دائرة الشك.

وبذلك تُثبت الدراسة الحالية؛ بناءً على الشواهد الخطّية، والسياق التاريخي، والأعراف التسموية، أنّ هذه المنظومة تُنسب بيقين إلى العلّامة بدر الدين حسن بن عبد الرحمن الصباحي (ت: ٨٩٨هـ)، وتُعرف اختصارًا باسم: «منظومة الصباحي في ترتيب نزول سور القرآن الكريم».

✦ ثانيًا: منهجية المؤلِّف في المنظومة:

تُعَدّ منظومة بدر الدين الصباحي نموذجًا متقنًا من النَّظْم التعليمي في علوم القرآن، حيث نظم فيها ترتيب نزول سور القرآن الكريم، فجاءت في ثلاثة وثلاثين بيتًا، وفيما يأتي أبرز الملامح المنهجية التي اتّبعها النّاظم في منظومته:

١. افتتح الناظم المنظومة بأسلوب تعليمي تحفيزي، فقال:

إِذَا رُمْـتَ تَنْزِيـلَ الكِتَـابِ مُرَتَّبًـا عَلَى السُّوَرِ الَّلاتِي نَـزَلْنَ عَلَـى الـوِلَا

بهذا المطلع، وجّه النَّاظم خطابه إلى الطالب مباشرة، بأسلوب يتوسّل النية التعليمية التوجيهية، لا محض الإخبار أو العرض.

٢. اختار الناظم بحر الطويل، وهو من أكثر البحور الشعرية اتساعًا، وأعلاها منزلة، وأكثرها جريانًا في مديح العلماء والموضوعات الجليلة، مما يوحي بمهابة المبحث الذي يتناوله، كما أظهر براعة فائقة في توظيف البحر دون إخلال بالتسلسل أو تكلّف في الألفاظ.

وقد جاءت القصيدة محكمة السَّبْك، ذات ألفاظ مختارة، وبنية بلاغية متعددة المستويات، منها على سبيل المثال:

- استخدام الكناية، في قوله: «نور المصابيح» للدلالة على سورة فصلت.
- استعمال المجاز، في قوله: «وصيّرتُ صعب القول فيه مسهَّلا».

- الترصيع والازدواج، في قوله: «أشرق بعدها سنا آل عمران... انجلا»، حيث تتناغم الصورة مع مضمون السورة.

٣. أشار الناظم في ختام منظومته إلى مصدر اعتماده، بقوله:

فَخُذْهَا مِنَ التَّيسِيرِ أَحْصَيتُ جَمْعَهَا وصَيَّرْتُ صَعْبَ القَولِ فِيهِ مُسَهَّلا

لكن الملاحظ أنّ (التيسير) للإمام الداني كتاب مختص في القراءات السبع، وليس فيه ذِكْر لترتيب نزول السور، والصواب أنّ الترتيب الذي نَظَمه الصباحي مأخوذ من كتاب (البيان في عدّ آي القرآن) للداني، وتحديدًا في باب: «ذِكْر المكي والمدني من القرآن»، حيث أوردَ فيه رواية جابر بن زيد الأزدي التي جاءت بسند مفصّل، وهي الرواية التي اعتمد عليها الناظم، وقد أوردَ الإمام الداني رواية جابر على النحو الآتي: «أخبرنا فارس بن أحمد، قال: أخبرنا أحمد بن محمد، قال: أخبرنا أحمد بن عثمان، قال: أخبرنا الفضل، قال: أخبرنا أحمد بن يزيد، قال: أخبرنا أبو كامل فضيل بن حسين، قال: أخبرنا حسان بن إبراهيم، قال: أخبرنا أمية الأزدي، عن جابر بن زيد...»[(١)]، ثم ساق ترتيب نزول السور بدءًا من (اقرأ باسم ربك) وانتهاءً بسورة التوبة، مفصِّلًا مكيّها ومدنيّها، ومُبيِّنًا عدد السور المنزَّلة بمكة (٨٦ سورة)، وتلك المنزَّلة بالمدينة (٢٨ سورة)، على ما وردَ في الأثر.

(١) البيان في عدّ آي القرآن، الداني، ص١٣٥ - ١٣٧.

٤. التزم الناظم ترتيبًا واحدًا للسور وفق رواية جابر بن زيد، دون التعرّض للاختلافات أو الروايات الأخرى، مما يعكس توجّهًا اختزاليًّا تربويًّا، يهدف إلى تثبيت رواية واحدة دون تشتيت المتعلّم، وهذا خلاف منهج التوسعة والموازنة الذي قد يتّبعه بعض العلماء في تآليفهم.

ورغم ما يُقال في ضعف سند رواية جابر بن زيد، لا سيّما لجهالة بعض رجال السند أو انقطاع بعض حلقاته، فإنّ أثرها العلمي ظلّ حاضرًا في أعمال جُمْلة من العلماء المحقّقين، الذين لم يتجاهلوا الرواية أو يعزلوها عن دائرة الاعتبار، بل أوردوها واعتمدوا عليها جزئيًّا أو كليًّا، ومنهم:

- الإمام أبو عمرو الداني، في كتابه (البيان في عدّ آي القرآن).
- الإمام إبراهيم بن عمر الجعبري (ت: ٧٣٢هـ)، الذي نظمها شعرًا في قصيدته التعليمية (تقريب المأمول في ترتيب النزول)، دلالة على قبولها كأصلٍ يُبنى عليه[(١)].
- الإمام جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، الذي أورد الرواية في كتابه: (الإتقان في علوم القرآن)، مع قوله: «هذا سياق غريب، وفي هذا الترتيب نظر، وجابر بن زيد من علماء التابعين بالقرآن، وقد اعتمد

(١) حققها صالح بن عبد الفتاح بن عبد الحق، الباحث بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية، ونُشرت في مجلة الوعي الإسلامي، العدد (٥٧٨)، سنة ٢٠١٣م.

البرهان الجعبري على هذا الأثر في قصيدته التي سمّاها: تقريب المأمول»[(١)].

- العلّامة محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، الذي استخدم الرواية في مواضع من تفسيره، كما صرّح عند تفسيره لسورة الدخان: «وهي السورة الثالثة والستون في عدّ نزول السور في قول جابر بن زيد، نزلت بعد سورة الزخرف وقبل سورة الجاثية في مكانها هذا»[(٢)].

واختيارُ الصباحي الاعتماد على رواية واحدة -رغم ما قيل في سندها- لا يُعَدّ طعنًا في دقّة عمله، بل يعكس رغبة تعليمية واضحة في تثبيت أحد الأوجه المشهورة لترتيب النزول، وتحويله إلى قالب شِعْري يسهل تناقله وحِفْظه، وهذا يتّفق مع طبيعة كثير من الأعمال المنظومة في تاريخ العلوم الإسلامية، التي لم يكن قصدها الإحاطة بكلّ الأقوال، بقدرِ ما كان همّها نَقْل العِلم المعتمَد بشكلٍ ميسَّر.

كما أنّ اعتماد علماء كبار على هذه الرواية، واقتباسهم منها، يُعَدّ من شواهد القَبول العملي وإن لم تُقَوَّ من جهة السند الحديثي، وهي مسألة معروفة في منهج المؤرِّخين وعلماء علوم القرآن، حيث يُراعى القَبول العلمي لا الإسناد المحدث وحده.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١/ ٩٧).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور (٢٥/ ٢٧٦).

٥. جاء ترتيب سور المنظومة متوافقًا مع ما في كتاب (البيان)، باستثناء موضع سورة الفاتحة؛ فقد أدخلها الصباحي بعد المدثر، بينما لم تُذكر في رواية الداني، لكن وردت صراحةً في رواية جابر كما نقلها السيوطي في (الإتقان)، وبهذا يظهر أنّ الناظم لم يقتصر على رواية الداني فحسب، بل اطّلع على ما في الإتقان أيضًا.

٦. قسّم الناظم منظومته إلى قسمين:

الأوّل: السور المكية في (الأبيات: ١ – ٢٠): وعددها ٨٦ سورة.

الثاني: السور المدنية في (الأبيات: ٢١– ٣٠): وعددها ٢٨ سورة، وفق قوله:

وأمَّـا الَّتِـي قَـدْ لُقِّبَـتْ مَدَنِيَّـةً فَتِلْـكَ ثَمـانٌ ثُـمَّ عِشْـرُونَ كُمَّـلا

وهذا التقسيم متسق مع رواية الداني عن جابر، وهو ما أكّده بالسرد الشِّعْري المتدرج، مستخدمًا أدوات الربط: (ثم، كذا، بعدها، تتلوها...).

٧. حافَظ الناظمُ على وضوح العبارة مع تجنّب التعقيد في اللغة، وقدرته على جمع أسماء ستّ أو سبع سور في بيتٍ واحد دون اضطراب في الوزن أو خَلَل نحوي تُعَدّ من دلائل تمكّنه الشِّعْري.

كما لم يطغَ السَّجْع على المضمون، ولم تنحدر الصياغة إلى التكلّف، فالتوازن واضح بين الفكرة القرآنية (ترتيب السور)، والعبارة الشِّعْرية الموزونة، ونجح الناظم في جعل القصيدة أداة تعليمية لا زخرفًا لغويًّا.

٨. تكرّر في المنظومة الأفعال الأمرية المرتبطة بالتحصيل العلمي: «خُذْ - الْزَمْ - فَصِلْ - اقْرُنْ - ثَنِّ - كُنْ مُتَبَتِّلَا...».

وهذه الأوامر تُضفي على المنظومة طابعًا تدريبيًّا وتعليميًّا، وتُرشِد الطالب في كلّ بيت إلى فعلٍ محدّد.

٩. ختم الناظم منظومته بأبيات توجيهية تربوية، يُظهر فيها التوكّل، والدعاء، والنية التعليمية، فقال:

ولُـذْ بِكِتَـابِ اللهِ مُعْتَصِـمًا وكُـنْ ... عَلَـى اللهِ فِـي كُـلِّ الأُمُـورِ مُعَـوِّلَا
وَسَلْ لِلَّذِيْ قَدْ سَاغَ جَوهَرَ نَظْمِهَا ... مِـنَ اللهِ غُفْـرَانَ الـذُّنُوبِ تَفَضُّـلَا

وفي ذلك من التواضع والأدب مع العلم ما يزين سياق المنظومة، ويؤطّر هدفها الأخلاقي الروحي، ويؤكّد وظيفة المنظومة كأداة علمٍ وتزكية.

١٠. أَلحَقَ الناظمُ بمنظومته أبياتًا من نظمِ الفقيه شهاب الدين العوشمي في السور المختلف في مكيتها أو مدنيتها، وهو ما يُغني المنظومة عن حواشٍ توثيقية تثبت الخلف.

ختامًا.. جمعت هذه المنظومة بين التحقيق العلمي، والبلاغة الأدبية، والوظيفة التربوية، مما يجعلها من النصوص التعليمية النفيسة في تاريخ علوم القرآن.

✦ ثالثًا: منهج تحقيق نصّ المنظومة:

اتّبعتُ في تحقيق منظومة الصباحي في ترتيب نزول سور القرآن الكريم منهجًا علميًّا دقيقًا، مستندًا إلى الأصول المتبعة في تحقيق النصوص التراثية، ومعتمدًا على أمّهات النُّسَخ الخطّية المتاحة، مع استحضار المعايير الأكاديمية التي تُوازِن بين أمانة النقل، ووضوح النصّ، وإفادة القارئ المتخصّص، وقد تمثّلت خطوات هذا المنهج في النقاط الآتية:

١. قُمْتُ بكتابة نصّ المنظومة من النّسخة الأصل، وفق قواعد الرسم الإملائي الحديث، بالشكل الذي يوضح النصّ للقارئ ويزيل عنه اللَّبْس.
٢. قابلتُ نصّ النسخة الأصل على النسختين (ب، ج)، للخروج بنصّ سليم خالٍ من السّقط والتحريف، موافقًا لِمَا أراده المؤلِّف، وأشرتُ إلى فوارق النُّسَخ في الهامش، وتركتُ الإشارة إلى ما لا يضرّ تركُ ذِكْره كسقطٍ أو تحريف حرف، حتى لا أُثْقِلَ الهوامش بما لا فائدة منه، وإذا كان خطأً قرآنيًّا أثبَتُّ نصّه الصحيح دون إشارة إلى ذلك.
٣. أثبَتُّ داخل النصّ أرقام لوحات النسخة الأصل بداخل معقوفين [رقم اللوحة/ و] يدل على (الوجه) الصفحة الأولى من اللوحة، [رقم اللوحة/ ظ] يدل على (الظهر) الصفحة الثانية من اللوحة، لتسهيل المقابلة لمن أراد.

٤. أزلتُ الإبهام عن النصّ، بتوضيحه في الهامش ما استطعتُ، وعلّقت في الهامش على ما يحتاج إلى تعليق، مع الإحالة إلى المصادر المعتمدة.

٥. ضَبَطتُ نصّ المنظومة، وشرحتُ الألفاظ الغريبة؛ لتسهيل قراءة النّظم، وفهم مراده.

٦. راعيتُ الناحية التاريخية عند سردِ المصادر في هوامش التوثيق.

٧. ذَيَّلْتُ البحث بفهرس للمصادر والمراجع.

وبعدُ، فإنّ هذا العمل -رغم الجهد المتواضع المبذول فيه- إنما هو محاولة لتحقيق نصّ علمي ذي قيمة تراثية دقيقة، وإخراجه في صورة تُرضي الباحثين المتخصّصين في الدراسات القرآنية، وتحقّق التوازن بين أمانة النقل وجمال الإخراج، وإني لأرجو من الله تعالى أن يتقبّله خالصًا، وينفع به طلاب العلم والباحثين، وأن يجعل فيه أجرًا لناظمه الصالح بدر الدين الصباحي، والحمد لله رب العالمين أوّلًا وآخرًا.

✦ رابعًا: وصف النسخ الخطّية:

اعتمد هذا التحقيق على تتبّع دقيق لمواضع وجود نُسَخ منظومة الصباحي الخطّية، وقد تم ذلك من خلال استقصاء شامل لفهارس المخطوطات المحفوظة في مكتبات العالم الإسلامي، المطبوعة منها والرقمية، سواء تلك التي أُفْرِدَت لفهرسة المخطوطات القرآنية، أو التي تضمّ مجموعات أدبية وعلمية عامة.

وبعد جهدٍ متأنٍّ، تمكّنتُ -بفضل الله- من العثور على ثلاث نُسَخ خطية محفوظة في ثلاث مكتبات متنوّعة، وحصلتُ على مصوّرات عالية الدقة لكلّ منها، مما أتاح إجراء المقابلة العلمية الدقيقة بينها، واستخلاص النصّ المعتمد على ضوء ما وردَ فيها، وفيما يأتي وصفٌ تفصيلي لهذه النُّسَخ:

١) النسخة الأولى: نسخة الأصل:

المكان: مكتبة الملك عبد العزيز العامة بمدينة جدة، المملكة العربية السعودية.

رقم الحفظ: ضمن مجموع برقم (٧٢).

وتقع المنظومة في ورقة واحدة فقط، تبدأ من الصفحة \[١٨٢/ و] وتنتهي عند \[١٨٢/ ظ].

عدد الأسطر:

- الصفحة [١٨٢/ و]: (١٧) سبعة عشر سطرًا.

- الصفحة [١٨٢/ ظ]: (٢١) واحد وعشرون سطرًا.

عدد الكلمات في السطر: يتراوح بين (١٠ - ٢٠) كلمة.

نوع الخط: نَسْخ جميل وواضح.

الناسخ وتاريخ النَّسْخ: بدون.

وقد تم اختيار هذه النُّسْخة لتكون النسخة المعتمدة (الأصل) في التحقيق؛ لِمَا تتسم به من تمام نصّ المنظومة، ووضوح الخط، وخلوّها من السقط أو التآكل، وسلامة الترتيب البنيوي للأبيات الشعرية، رغم افتقارها إلى تاريخ نَسْخ أو توثيق للناسِخ.

٢) النسخة الثانية: نسخة (ب):

المكان: مكتبة الإمام زيد بن عليّ الثقافية.

رقم الحفظ: ضمن مجموع برقم (٢٧٢/ ٢).

وهذه النسخة ملحقة بكتاب (تحفة القارئ والمقرئ)، للعلّامة بحرق الحضرمي، مما يُشير إلى تداول المنظومة في أوساط علوم القرآن والتجويد، وتقع المنظومة في ورقة واحدة فقط من هذا المجموع، وتمتدّ من الصفحة [٢٠٠/ و] إلى الصفحة [٢٠٠/ ظ].

عدد الأسطر:

- الصفحة [٢٠٠/ و]: (٢٥) خمسة وعشرون سطرًا.

- الصفحة [٢٠٠/ ظ]: (١٨) ثمانية عشر سطرًا.

عدد الكلمات في السطر: (١١) كلمة تقريبًا.

نوع الخط: نسخ واضح وجيّد، لا يُعاني من تآكل أو طمس، وإن كان أقلّ جمالًا من نسخة الأصل.

الناسخ وتاريخ النَّسْخ: بدون.

٣) النسخة الثالثة: نسخة (ج):

المكان: مكتبة الشيخ محمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل الكبسي.

رقم الحفظ: ضمن مجموع برقم (٦٠).

وتغطّي هذه النسخة ورقة واحدة، تمتدّ من الصفحة [١/ ظ] حتى [٢/ و].

عدد الأسطر:

- الصفحة [١/ ظ]: (١٨) ثمانية عشر سطرًا.

- الصفحة [٢/ و]: (٢٨) ثمانية وعشرون سطرًا.

عدد الكلمات في السطر: يتراوح بين (١٠ - ١٢) كلمة تقريبًا.

نوع الخط: خط نسخي معتاد، مقروء لكنه أقلّ وضوحًا من نسخة الأصل.

الناسخ: عبد الحميد يحيى أحمد.

تاريخ النسخ: سنة ١١٤٦هـ.

✦ خامسًا: نماذج من النسخ الخطية:

-الصفحة الأولى من نسخة (الأصل)-

-الصفحة الأولى من النسخة (ب)-

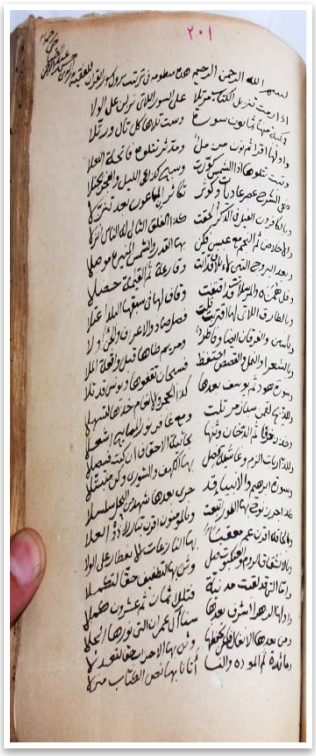

-الصفحة الأولى من النسخة (ج)-

القسم الثالث: النصّ المحقق:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه المنظومة في ترتيب نزول السور

وهي للفقيه بدر الدين حسن بن عبد الرحمن الصباحي، رحمه الله تعالى

١. إِذَا رُمْـــتَ[(١)] تَنْزِيـــلَ الْكِتَـــابِ مُرَتَّبًـــا[(٢)]
عَلَـى السُّـوَرِ اللَّاتِـي نَـزَلْنَ عَلَـى الـوِلَا[(٣)]

٢. فَمَكِيَّـــةٌ مِنهـــا ثَمـــانُونَ سُـــوْرَةً
وسِـــتٌّ تَلاهَـــا كُـــلُّ تَـــالٍ وَرَتَّـــلَا[(٤)]

٣. وَأَوَّلُهـــا اقْـــرَأْ ثُـــمَّ نُـــونٌ مُزَّمِّـــلٌ
ومُـــدَّثِّرٌ تَتْلُـــوهُ فَاتِحَـــةُ العُـــلَا[(٥)]

---

(١) «رُمْتَ»: مِن رامَ الشيء يرومه رومًا؛ إذا طلبَه. ينظر: الصحاح، الجوهري (٥/ ١٩٣٨)، مادة (روم).

(٢) في نسخة ب «مُرَتَّلا»، وهو تحريف، والصواب ما أثبتّه من نسختي الأصل، ج؛ موافقة للسياق.

(٣) «الوِلَا»: أي الترتيب والتوالي، من ولاية الشيء لغيره، والمعنى: على السور التي نزلت متتالية على وجه مرتَّب. ينظر: لسان العرب، ابن منظور (١٥/ ٤٠٥)، مادة (ولي).

(٤) في هذا البيت تقسيم لمكيّ القرآن إلى (ثمانين + ست = ستٍّ وثمانين) سورة، على وفق رواية جابر ابن زيد، وقد نصّ عليها الإمام الداني في البيان في عدّ آي القرآن، ص١٣٥ - ١٣٧.

(٥) «فاتحة العُلا»: أي سورة الفاتحة. والمراد أنها نزلت بعد السور الأربع الأُولى، بحسب الترتيب الأثري.

٤. وَتَبَّـــتْ تَتْلُوهَـــا إِذَا الشَّـــمسُ كُـــوِّرَتْ
وَسَـبِّحْ كَـذَاكَ اللَّيْـلُ والفَجْـرُ يُجْـتَلَا[١]

٥. ضُـحَى الشَّـرْحِ، عَصْـرٌ، عَادِيَـاتٌ، وكَـوْثَرٌ
تَكَـاثُرٌ، المَـاعُونُ، بَعْـدُ، تَنَـزَّلَا

٦. وَبِالكَـافِرُونَ الفِيـلُ فِـي الـذِّكْرِ أُلْحِقَـتْ
كَـذَا الفَلَـقُ، التَّـالِي لَـهُ[٢] النَّـاسُ أُنْـزِلَا

٧. والإِخْـلَاصُ ثُـمَّ الـنَّجْمُ مَـعْ عَـبَسٍ فَكُـنْ
بِهَـا الْقَـدْرَ والشَّـمْسُ المُنِيـرَةُ مُوصِـلَا

٨. وَبعْـدَ البُـروجِ التِّـينُ، لِإِيـلَافُ[٣] قَـدْ أَتَـتْ
وَقَارِعَـــةٌ، ثُـــمَّ القِيَامَـــةُ حُصِّـــلَا

(١) «يُجْتَلَا»: أي يُنظر إليه واضحًا، من «اجْتَلَيْتُ العروس» إذا رأيتها مكشوفةً. ينظر: لسان العرب، ابن منظور (٥/ ٤٠)، مادة (جلا).

(٢) «التّالي له»: أي التالي للفلق، وهو (الناس)، كما ورد في رواية جابر بن زيد.

(٣) إشارة إلى سورة قريش.

٩. وَقُلْ هُمَزَهْ[١]، وَالْمُرْسَلَاتُ، قَدِ اقْتَفَتْ[٢]

وَقَافٌ لَهَا، فِي سَبْقِهَا الْبَلَدَ اعْتِلَا[٣]

١٠. وَبِالطَّارِقِ، اللَّاتِي لَهَا اقْتَرَبَتْ تَلَتْ[٤]

فَصِلْ صَادَ، وَالْأَعْرَافَ، والْجِنَّ، أَوَّلَا

١١. وَيَاسِينَ، وَالْفُرْقَانَ أَيْضًا، وَفَاطِرٌ

وَمَرْيَمُ، طَهَ، قَبْلَ وَاقِعَةِ المَلَا[٥] [١/ و]

١٢. وبِالشُّعَرَا، وَالنَّمْلِ، والقَصَصِ، احْتَفِظْ[٦]

فَسُبْحَانَ[٧] تَقْفُوهَا[٨]، وَيُونُسُ قَدْ تَلَا

---

(١) وردت هنا بصيغة «هُمَزَهْ» مراعاةً للوزن العروضي، على طريقة الوقف بهاء السكت.

(٢) «اقْتَفَت»: أي اتَّبعت. ينظر: الصحاح، الجوهري (٦/ ٢٤٦٦)، مادة (قفا).

(٣) «اعْتِلَا»: أي دُفع وجُذب بشدّة، ومنه: «عَتَلَه إلى النار عَتْلًا». ينظر: الصحاح، الجوهري (٥/ ١٧٥٨)، مادة (عتل).

(٤) «اللَّاتِي لَهَا اقْتَرَبَتْ تَلَتْ»: أي السورة التي نزلت بعد سورة (الطارق)، هي سورة اقتربت الساعة (القمر).

(٥) «الملَا»: أي الملأ الأعلى، وهي كناية عن السور ذات الموضوعات الكبرى التي تتناول البعث والنشور، والمقصود هنا هو سورة الواقعة.

(٦) «احْتَفِظْ»: فعل أمر يفيد التثبيت في الذهن، و«تَقْفُوها» في موضع استئناف.

(٧) «فَسُبْحَانَ»: أي سورة الإسراء، وسميت بهذا لاستهلالها بـ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ﴾. ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١/ ١٩٣).

(٨) «تقفُوها»: تفيد أنّ سورة الإسراء جاءت بعد سور الشعراء والنمل والقصص، وهو ما تؤيده رواية جابر بن زيد، وقد استعمل الناظم الفعل في معناه الزمني التصاعدي بإيجاز بليغ.

١٣. وسُـــورةُ هُـــودٍ، ثُـــمَّ يُوسُـــفُ بَعْـــدَهَا
كَـذَا الْحِجْـرُ وَالْأَنْعَـامُ، خُـذْهَا لِتَسْـهُلَا[١]

١٤. وَلِلـــذِّبْحِ[٢] لُقْمَـــانٌ، سَـــبَا، زُمَـــرٌ[٣] تَلَـــتْ
وَمَـعْ غَـافِرٍ، نُـورُ المصَـابِيحِ[٤]، أُشْـعِلَا

١٥. وَخُـــذْ زُخْرُفًـــا، ثُـــمَّ الـــدُّخانَ، وَثَنِّهَـــا
بِجَاثِيَـةِ، الْأَحْقَـافِ، إِنْ كُنْـتَ فَيْصَـلَا[٥]

١٦. وَلِلـــذَّارِيَاتِ، الْـــزَمْ، وَغَاشِـــيَةً، فَصِـــلْ[٦]
بِهَـا الكَهْـفَ، وَالشُّـورَى، وَكُـنْ مُتَبَـتِّلَا[٧]

(١) «خُذْهَا لِتَسْهُلَا»: أي خذ هذه السور مرتبة كما وردت في هذا البيت، ليسهل حفظها وفهم تتابعها.
(٢) «ولِلذِّبْحِ»: كناية عن سورة الصافات، لذِكْر قصة الذبح فيها، كما في قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧].
(٣) «زمرٌ» جاءت مرفوعة عطفًا على «سَبا» و«لُقمان»، والتقدير: «تلت سَبَأ وزُمَر»؛ غير أن الرفع هنا في الكلمات الثلاث يحتمل أيضًا النصب على العطف في الأصل لتتسق مع الترتيب السابق.
(٤) «نُورُ المصابيح»: كناية عن سورة فصلت، من قوله: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا﴾ [١٢].
(٥) «فَيْصَلَا»: اسم مصدر للفصل، أي الحاسم في المعرفة أو القضاء. ينظر: لسان العرب، ابن منظور (١١/ ٥٢١)، مادة (فصل). والمعنى: إن كنت حاسمًا في تمييز الترتيب الصحيح لسور النزول، فهذا الترتيب هو المرجَّح.
(٦) «الزَمْ» فعل أمر؛ للنصيحة بالحفظ، و«فَصِلْ» تفيد التمييز والتنبيه على الترتيب.
(٧) «مُتَبَتِّلًا»: أي منقطعًا للعلم والمعرفة، مأخوذ من التبتل، وهو الانقطاع للعبادة. ينظر: لسان العرب، ابن منظور (١١/ ٤٢)، مادة (بتل).

١٧. وسُـــورَةُ إِبـــرَاهِيمَ[١] وَالأَنبِيـــاءَ قَـــدْ
جَرَى بَعْدَهَا شُـهْدٌ[٢] مِـنَ النَّحْـلِ[٣] سَلْسَـلَا[٤]

١٨. كَـــذَا جُـــرُزٌ[٥] نُـــوحٌ بِهَـــا الطُّـــورُ أُتْبِعَـــتْ
وبِـــالمؤمِنونَ اقْـــرُنْ[٦] تبَـــارَكَ ذُو العُـــلَا

١٩. وبِالحَاقَّـــةِ اقْـــرُنْ ســـالَ[٧] عَـــمَّ[٨] مُعَقِّبًـــا
بهـــا النَّازِعَـــاتِ الِانفِطَـــارَ عَلَـــى الـــوِلَا[٩]

(١) في الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/ ٩٧): «ثم: حم عسق، ثم: تنزيل السجدة، ثم الأنبياء».
(٢) (الشُّهْدُ): عسل النَّحل ما دام لم يعصر من شمعه. القِطعة منه شُهْدَةٌ. والجمع: شِهَادٌ. ينظر: الصحاح، الجوهري (٢/ ٤٩٥)، مادة (شهد).
(٣) قوله: «شُهْدٌ مِنَ النَّحْلِ» يريد بعض آي سورة النحل، قال السيوطي: «ثم النحل أربعين، وبقيتها بالمدينة». الإتقان، السيوطي (١/ ٩٧).
(٤) «سَلْسَلَا»: بمعنى سَائغ وسَهْل. وماء سَلْسَلٌ: بمعنى سَلِسٌ وسَهْلُ الدخول في الحلق لعذوبته وصفائه. ينظر: لسان العرب، ابن منظور (١١/ ٣٤٣)، مادة (سلس).
(٥) في الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/ ٩٧): «ثم: النحل أربعين وبقيتها بالمدينة، ثم: إنّا أرسلنا نوحًا، ثم: الطور».
(٦) «اقْرُن»: بمعنى اجمع. ينظر: الصحاح، الجوهري (٦/ ٢١٨١)، مادة (قرن).
(٧) «سالَ» ساقطة من نسخة ب، ج.
(٨) في الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/ ٩٧): «ثم: الحاقة، ثم: سأل، ثم: عم يتساءلون».
(٩) «الوِلا»: التَّتَابع. ينظر: المعجم الوسيط (٢/ ص ١٠٥٧)، مادة (والى).

٢٠. وبِالانشِـــقَاقِ الـــرُّومَ والعنكَبُـــوتَ صِـــلْ
وثَـــنِّ[١] بهـــا التَّطْفِيـــفَ حقًّـــا لِـــتكْمُلا[٢]

٢١. وأمَّـــا الَّتِـــي قَـــدْ لُقِّبَـــتْ مَدَنِيَّـــةً
فَتِلْـــكَ ثَمـــانٌ ثُـــمَّ عِشْـــرُونَ كُمِّـــلا[٣]

٢٢. وأَوَّلُهـــا الزَّهْـــرَاءُ[٤] أَشْـــرَقَ بَعْـــدَهَا
سَـــنَا[٥] آلِ عِمـــرَانَ الَّتِـــي نُورُهُـــا انْجَـــلَا[٦]

٢٣. ومِـــن بَعْـــدِهَا الْأَنْفَـــالُ فَـــاعْنَ بِحِفْظِهـــا
وَثَـــنِّ بِهَـــا الْأَحْـــزَابَ حَقًّـــا لِتَعْـــدِلَا

٢٤. ومَائِـــدةٌ ثُـــمَّ المـــودَّةُ والنِّسَـــا
أَتَانَـــا بِهَـــا نَـــصُّ الكِتَـــابِ مُنَـــزَّلَا

---

(١) «ثَنِّ»: اجعل ثانيًا. ينظر: الصحاح، الجوهري (٦/ ٢٢٩٤)، مادة (ثني).

(٢) «لِتَكْمُلَا»: بمعنى لتكون آخر السور المكية، وبها تمّت السور المكية. ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١/ ٩٧).

(٣) «كُمِّلا»: من الكمال، وهو التمام. ينظر: الصحاح، الجوهري (٥/ ١٨١٣)، مادة (كمل).

(٤) قوله: «الزهراء» يريد به سورة البقرة، وسمّاها بالزهراء اقتداءً بالحديث الصحيح: «اقْرَؤُوا الزَّهْراوَيْنِ البَقَرَةَ، وسُورَةَ آلِ عِمْرانَ...». صحيح مسلم، برقم (٨٠٤).

(٥) «سَنَا»: السَنا: ضوء البرق. ينظر: الصحاح، الجوهري (٦/ ٢٣٨٣)، مادة (سنا).

(٦) «انجَلا»: ظهر، ووضح، وانكشف، وبان. ينظر: الصحاح، الجوهري (٦/ ٢٣٠٣)، مادة (جلا).

٢٥. وَزَلْزَلَـــةٌ ثُـــمَّ الحديـــدُ مُحَمَّـــدٌ
وبِالرَّعْـــدِ والـــرَّحمنِ كُـــنْ مُتَوَسِّـــلَا

٢٦. والإنسَـــانُ مِـــنْ قَبـــلِ الطَّـــلَاقِ وَلَـــمْ يَكُـــنْ
كَـــذَا الحَشْـــرُ قَبـــلَ النَّصْـــرِ والنُّـــورُ أَقْـــبَلا

٢٧. وبِـــالحَجِّ أَتْبِـــعْ سُـــورَةً جَـــاءَ نَصُّـــهَا
بِتَكْـــذِيبِ أَرْبَـــابِ النِّفَـــاقِ مُفَصَّـــلا

٢٨. وجَـــادِلْ بِآيَـــاتِ المُجَادِلَـــةِ العِـــدَا
وبِـــالحُجُرَاتِ الْـــزَمْ وَكُـــنْ مُـــتَعَقِّلا[1]

٢٩. وَمِـــنْ بَعْـــدِهَا التَّحـــرِيمُ والْـــجُمُعَةُ الَّتِـــي
أَتَـــتْ بَعْـــدَهَا آيُ التَّغَـــابُنِ تُجْـــتَلا

٣٠. كَـــذَا الصَّـــفُّ قَبـــلَ الفَـــتْحِ والتَّوبَـــةُ انْتَهَـــتْ
بِهَـــا سُـــورُ القُـــرْآنِ زُهْـــرًا وكُمِّـــلا

٣١. فَخُـــذْهَا مِـــنَ التَّيسِـــيرِ أَحْصَـــيتُ جَمْعَهَـــا
وصَـــيَّرْتُ صَـــعْبَ القَـــولِ فِيـــهِ مُسَـــهَّلا

(١) «مُتَعَقِّلا»: بمعنى: رَزِين، مُتَدَبِّر، مُتَفَهِّم، يفكّر كيف يفعل الأشياء قبل الإقدام عليها. من العَقْل: وهو الحِجْرُ والنُّهَى. ينظر: الصحاح، الجوهري (٥/ ١٧٦٩)، مادة (عقل).

٣٢. ولُـــذْ بِكِتَـــابِ اللهِ مُعْتَصِـــمًا وكُـــنْ
عَلَـــى اللهِ فِـــي كُـــلِّ الأُمُـــورِ مُعَـــوِّلَا[١]

٣٣. وَسَـــلْ للَّـــذِيْ قَـــدْ سَـــاغَ[٢] جَـــوهَرَ نَظْمِهَـــا
مِـــنَ اللهِ غُفْـــرَانَ الـــذُّنُوبِ تَفَضُّـــلَا

✦ ✦ ✦ تمـت ✦ ✦ ✦

(١) «مُعَوِّلَا»: مُعتمدًا عليه، ومستعينًا به. ينظر: الصحاح، الجوهري (٥/ ١٧٧٦)، مادة (عول).

(٢) في نسخة ب، ج «صاغ» بالصاد.

ملحق رقم [١][(١)]:

واختُلف في اثنتي عشرة من المكية، قيل إنَّها مدنية، وقد نظمها الفقيه شهاب الدين أحمد بن محمد العوشمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١. والخُلْـــفُ في اثْنَـــا عَشَـــرْ مُبَيَّنًـــا
في الحَمْـــدِ وَالنَّحْـــلِ وَفِـــي صَـــادَ سَـــنَا

٢. واللَيـــلِ والأَعْلَـــى كَـــذَا وَالفَجْـــرِ
وَطُفِّفَـــتْ والنـــاسِ قُـــلْ وَالقَـــدْرِ

٣. وَالإِخْـــلَاصِ العاديـــاتِ ضَـــبْحًا
والفَلَـــقِ نِلْـــتَ بِهَـــذَا نُجْحَـــا[(٢)]

✦ ✦ تمـت ✦ ✦

(١) أُلْحِقَ بمنظومة الصباحي مُلْحَقان في السور المختلف فيها، وذلك في جميع النُّسَخ الخطية، فأثبتّهما في هذا التحقيق.

(٢) «نُجْحَا»: النُجْحُ والنَجاحُ: الظفر بالحوائج. ينظر: الصحاح، الجوهري (١/ ٤٠٩)، مادة (نجح).

ملحـق رقم [٢]:

واختُلف في سبع سور من المدنية، قيل إنَّها مكية، وقد نظمها الفقيه شهاب الدين المذكور:

١. والْـــــخُلْفُ في الرَّعْـــــدِ وفي الـــــرَّحمنِ
والصَّـــــفِّ والحـــــجِّ مَـــــعَ الإِنسَـــــانِ

٢. وفي التَّغَـــــابُنِ الِخـــــلافُ عَمَّـــــا
وزُلْزِلَـــــتْ بِهَـــــا الكَـــــلَام تَـــــمَّ

✦ ✦ ✦ تمـت ✦ ✦ ✦

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج والتوصيات:

بعد مسيرة علمية منهجية جمعت بين الدراسة والتحقيق، وسبرت أغوار منظومة بدر الدين حسن بن عبد الرحمن الصباحي (ت: ٨٩٨هـ) في ترتيب نزول سور القرآن الكريم، تبيَّن أن هذه المنظومة تمثّل نموذجًا تراثيًّا فريدًا في حقل علوم القرآن، يجمع بين الدقّة الزمنية في ترتيب السور، والصياغة الشِّعْرية التعليمية، في بناء متكامل يخدم الطلبة والباحثين في آنٍ معًا.

وقد عالج البحثُ هذه المنظومة من جوانب متعدّدة، اشتملت على التعريف بالنّاظم ومكانته، ودراسة المنظومة من حيث نسبتها، ومنهجها، وتحقيقها، وانتهى إلى نصّ شِعري محقّق مضبوط، مشفوع بالتعليقات اللغوية والعلمية.

ومن خلال هذا الجهد العلمي، توصّل البحث إلى عدد من النتائج العلمية التي نبيّنها فيما يأتي، تمهيدًا لتقديم توصيات تخدم الحقلين: القرآني والتحقيقي.

أولًا: النتائج:

١. ثبوت نسبة المنظومة إلى القاضي العلّامة بدر الدين حسن بن عبد الرحمن الصباحي (ت: ٨٩٨هـ) ثبوتًا قويًّا، استنادًا إلى تصريحات النُّسَخ الخطية الثلاث، مما يؤكّد أصالتها ويعزّز قيمتها العلمية.

٢. أنّ منظومة بدر الدين الصباحي تمثّل نموذجًا ناضجًا ومتفرّدًا في نَظْم ترتيب نزول سور القرآن الكريم، من حيث منهجها العلمي، وبنيتها

الشِّعْرِية، وهدفها التربوي؛ فقد استطاع الناظمُ أن يُحوّل عِلْمًا دقيقًا كترتيب النزول إلى نصّ تعليمي محفوظ، خالٍ من الحشو، غنيّ بالمعنى، محكَم في السَّبْك، يجمع بين الدقّة الزمانية والجمال البياني، مما يدلّ على تمكّنه في كلٍّ من العلم والأدب.

٣. التزام الناظم التام برواية جابر بن زيد كما نقلها الإمام أبو عمرو الداني، مع تعديلات طفيفة ناتجة عن اختياره لبعض ألفاظ رواية السيوطي، أبرزها إدخاله سورة الفاتحة؛ وهو ما يعكس وعيه بالنقل المزدوج من روايتين: رواية الداني كما في (البيان)، ورواية السيوطي كما في (الإتقان)، مع حرصه الشديد على الحفاظ على تسلسل السور كما هو في أصل الرواية دون إضافات أو مقارنات.

٤. أثبتت المنظومة التزامًا دقيقًا بإيقاع البحر الطويل على مدار ثلاثة وثلاثين بيتًا دون اضطراب وزني أو خَلَل في السياق، بالرغم من إدراج أسماء سور كثيرة ضمن بيت شِعْرِي واحد في مواضع عديدة، مما يدلّ على براعة لغوية نادرة، ومقدرة شعريّة عالية، وقدرة فائقة على إدماج المادة العلمية في القالب العروضي.

٥. احتفظت المنظومة بكامل الترتيب الزمني لرواية جابر بن زيد، دون تقديم أو تأخير يُذكر، وهو ما يدلّ على التزام النّاظم بالنقل الأمين عن مصدره، في قالب شِعْري تربوي لا يخلو من بلاغة وسلاسة.

٦. أنّ إدراج الملحقَيْن اللذَيْن يُنسبان إلى شهاب الدين العوشمي -وهما اللذان نُظِمَا في بيان السور المختلف في مكيّتها أو مدنيّتها- يعكس الوعي التحريري لدى المدرسة التي دُرّست فيها المنظومة، ويدل على شعور من تداولها بالحاجة إلى الإشارة إلى مواضع الخلاف، ولو خارج منظومة الناظم نفسه، وهو ما يُغني المتن ويمنحه أفقًا نقديًّا وتعليميًّا أوسع.

٧. أظهرت المنظومة أنّ الناظم كان ذا اطّلاع واسع على نَظْم علماء القرون السابقة، وخاصّة الجعبري، لكنّه آثر عدم تقليده في الأسلوب أو المفردات، مما يؤكّد استقلاله المنهجي، فقد بنى منظومته برؤية مختلفة، وأسلوب يختزل، لا يُطنب، ويوجّه، لا يُجرّد.

٨. تظهر المنظومة كمثال ناجح على النَّظْم التعليمي المختصر، الذي يجمع بين نقل المعلومة وتثبيتها في قالب قابل للحفظ والفهم، دون الحاجة إلى شرح مطوّل؛ مما يجعلها مناسبة للدراسة الأولية أو التربوية في علم المكي والمدني.

٩. أثبت البحث أنّ منظومة بدر الدين الصباحي لا تقلّ منزلة عن أيٍّ من المتون القرآنية الأخرى المشهورة، بل إنها تُعَدّ من المتون المرجعية النادرة في موضوعها، لتفرّدها بسلامة الأسلوب، وانضباط المادة، وصدق التوجّه العلمي والوظيفي.

١٠. كشفت المنظومة عن وجه من وجوه الإنتاج العلمي في المدرسة اليمنية خلال القرن التاسع الهجري، وتحديدًا في مدينة تعز، حيث التقت الوظيفة الوزارية بالنشاط العلمي، في شخصية الناظم.

ثانيًا: التوصيات:

١. العناية بتحقيق المنظومات التعليمية القرآنية في موضوعات المكي والمدني، وترتيب النزول، وعدّ الآي، والقراءات؛ لِمَا لها من دور محوري في التأصيل العلمي والتربوي.

٢. إدراج منظومة الصباحي ضمن المتون التعليمية المقرّرة في برامج علوم القرآن، وشرحها شرحًا مبسّطًا يسهل حفظها وتطبيق مضمونها.

٣. اقتراح دراسة مقارنة بين منظومة الصباحي، ومنظومة الجعبري، وغيرها من المتون المنظومة في ترتيب النزول، من حيث المنهج والأسلوب والمحتوى.

٤. دعم تحقيق تراث المدرسة اليمنية في القرنين الثامن والتاسع، وخاصة الإنتاج الشعري العلمي، الذي لم يأخذ حقّه من الجمع والتحقيق.

٥. إعداد فهارس علمية شاملة للمنظومات القرآنية غير المحقّقة، وتقديمها كمشروعات بحثية للباحثين وطلاب الدراسات العليا، ضمن أولويات النشر الأكاديمي المعنيّ بخدمة القرآن وعلومه.

✦ المصادر والمراجع:

١. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ= ١٩٧٤م.

٢. الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حِمْير، الكتاب العاشر في معارف همدان وأنسابها وعيون أخبارها، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، تح: محبّ الدين الخطيب، الدار اليمنية، صنعاء، ط١، ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.

٣. الانتصار للقرآن، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت: ٤٠٣هـ)، تح: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح - عَمَّان، دار ابن حزم - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ= ٢٠٠١م.

٤. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٣٧٦هـ= ١٩٥٧م.

٥. البيان في عدّ آي القرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ)، تح: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث – الكويت، ط١، ١٤١٤هـ= ١٩٩٤م.

٦. تاريخ البريهي الكبير، عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي السكسكي اليمني (ت: ٩٠٤هـ)، تح: عبد الله محمد الحبشي، دار المقتبس، ط١، ١٤٣٦هـ= ٢٠١٥م.

٧. التحرير والتنوير، (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

٨. التنبيه على فضل علوم القرآن، أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري، العدد (٤)، من مجلة المورد، العراق، ١٩٨٨م.

٩. سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: ٧٤٨هـ)، تح: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م.

١٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل الجوهري (ت: ٣٩٣هـ). تح: أحمد عطار، ط٤ دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ١٤٠٧هـ= ١٩٨٧م.

١١. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت – لبنان، دار إحياء التراث العربي، (د.ط).

١٢. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت).

١٣. طبقات صلحاء اليمن، المعروف بتاريخ البريهي: عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريهي السكسكي اليمني (ت: ٩٠٤هـ)، تح: عبد الله محمد الحبشي، ط مكتبة الإرشاد، صنعاء، (د.ت).

١٤. الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار زبيد، عبد الرحمن بن عليّ بن محمد بن الديبع الشيباني (ت: ٩٤٤هـ)، تح: يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م.

١٥. لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ)، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٦. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تح: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان، (د.ط)، ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م.

١٧. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، وإخوانه، دار الدعوة، (د.ت.ط).

١٨. المكي والمدني في القرآن الكريم، عبد الرزاق حسين أحمد، دار ابن عفان، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ= ١٩٩٩م.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث ٢
المقدمة ٤
الأهمية العلمية للموضوع ٦
أسباب اختيار الموضوع ٧
مشكلة الدراسة ٨
أهداف الدراسة ٩
منهج البحث ١٠
الدراسات السابقة ١٠
مخطط البحث ١١
التمهيد ١٢
القسم الأول: التعريف بالناظم وسيرته العلمية ١٧
القسم الثاني: دراسة المنظومة ٢٧
القسم الثالث: النصّ المحقق ٤٢
ملحق رقم [١] ٥٠
ملحق رقم [٢] ٥١
الخاتمة ٥٢
المصادر والمراجع: ٥٦
فهرس الموضوعات ٦٠